التحليل المكاني لفئة الأطفال
بالهرم السُكاني في إفريقيا ٢٠١٩، وأثره على التنمية

د. وائل محمد المتولي إبراهيم
كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة
خبير نظم المعلومات الجغرافية بالهيئة العامة للتخطيط العمراني

مُلخص

تُعد الموضوعات الخاصة بدراسة السُكان وخصائصهم بصفة عامة، وفئة الأطفال أو صغار السن منهم بصفة خاصة من أهم القضايا المطروحة للنقاش في الوقت الحاضر، على مستوى الدول النامية عامة، وبخاصة الدول الإفريقية؛ لما لها من علاقة تأثير وتأثر بالمُتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية.

تبعًا لذلك ستناقش هذه الورقة التحليل المكاني لفئة الأطفال أو صغار السن بالهرم السُكاني في القارة الإفريقية، وفقًا لبيانات مكتب الإحصاء التابع للأمم المتحدة عن السُكان في القارة الإفريقية ودولها. وذلك باستخدام منهج شمولية الواقع الجغرافي، وأسلوب التحليل الإحصائي، وتمثيل البيانات الخاصة بتوزيع السُكان، حسب فئات السن والنوع، بيانيًا، عن طريق الهرم السُكاني. وسيتم اعتماد تقسيم القارة الإفريقية إلى خمسة أقاليم وفقًا لمنظمة الاتحاد الإفريقي.

حيث يكاد يكون تكوين السُكان حسب فئات السن والنوع أحد أهم وأخطر العوامل الديموجرافية في دلالتها على قوة السُكان الإنتاجية، ومقدار حيويتهم. كما أنه يشير إلى اتجاه نموهم، ويُلقي ضوءًا مُفَسِرًا على نسب المواليد والوفيات بينهم. وتبعًا لذلك يتم تحديد حجم السُكان في سن التعليم، وما يلزم لهم من أبنية تعليمية، وغير ذلك من خدمات وبنية تحتية. أيضًا، تحديد حجم السُكان في سن العمل، وتوزيعه بين الذكور والإناث.

وذلك من أجل توجيه الأنظار، عن طريق مجموعة من النتائج والتوصيات، إلى أنه رغم الأوضاع الديموجرافية غير المُلائمة في معظم الدول الإفريقية، فإن مُخططِي التنمية يجب أن يكونوا على حذر من الاعتماد كليًا على الإجراءات والسياسات السُكانية فقط كوسيلة

لتحقيق تنمية اقتصادية سريعة؛ حيث يجب أن يدخل التخطيط السُكاني كعنصر رئيس ضمن أُطر برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

الكلمات الدالة: فئة الأطفال (صغار السن) ، الهرم السُكاني ، أقاليم الاتحاد الإفريقي ، التنمية.

مقدمة

يُعد تقسيم السُكان إلى فئات عمرية حسب السن والنوع مُهمًا من النواحي الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية؛ حيث يُنظر إلى صغيري السن نظرة مختلفة عن كبيري السن؛ نظرًا لطبيعة المهام التي تُوكل لكل منهما. كما أن الفئات العمرية صغيرة السن وكبيرة السن تعتمد على باقي الفئات العمرية في المجتمع، فيما يعرف بالإعالة؛ ومن ثَم فإن نسبة السُكان في هذه المجموعات تؤثر على طريقة عمل المُجتمع ككل (George J. Demko, et al, ١٩٧٠).

كذلك تُعامَل المرأة بصورة مختلفة عن الرجل، وبغض النظر عن مدى صحة أم خطأ هذا التصور، فإن هذا الأمر واقعي في كافة المجتمعات الإنسانية سواءً أكانت متقدمة أم نامية.

ويمكن تقسيم السُكان إلى ثلاث فئات (فتحي محمد أبوعيانة، ١٩٨٦)، كما يلي:

فئة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر)

فئة مُستهلكة، غير مُنتجة في الغالب، وتضم أعدادًا كبيرة من الإناث والأرامل. ترتفع نسبتها في الدول المتقدمة؛ بسبب انخفاض معدل المواليد الخام، وانخفاض معدلات وفيات كبار السن، وإطالة أمد الحياة. بينما تنخفض في المجتمعات النامية؛ بسبب ارتفاع نسبة صغار السن على حساب نسب الفئات الأخرى، فضلًا عن قِصر أمد الحياة؛ بسبب ارتفاع معدلات وفيات كبار السن.

وتتأثر نسب هذه الفئة، هي وفئة صغار السن، بالهجرة الوافدة أو المغادرة في المجتمع، وغالبًا ما تعيل فئة سن العمل هاتين الفئتين.

فئة متوسطي الأعمار / البالغين (١٥ – ٦٤ سنة)

لها أهمية كبيرة في أي مُجتمع، فهي الدُعامة الأساسية في بناء اقتصاده الوطني؛ من خلال ما توفره من أيدٍ عاملة، تسد حاجة مشاريعه الاقتصادية: الصناعية، والزراعية، والخدمية، كما أنها تتحمل مُهمة الدفاع عن الوطن، وهي التي تعوضه عن ما يفقده من وفيات؛ لأنها تحتوي على العناصر الشابة، من ذكور وإناث في سن الزواج، أي تكمن فيها خصوبة المُجتمع. وتُعد من أقل الفئات العمرية تأثُرًا بعامل الوفاة، وهي الأكثر قدرة على الحركة والهجرة، كما تعتمد عليها الفئتان الأخريان. وقد تقسم هذه الفئة إلى: فئة البالغين الشباب (١٥ – ٣٤) سنة، والبالغين الكبار (٣٥ – ٦٤) سنة.

فئة صغار السن / الأطفال والمراهقين (أقل من ١٥ سنة)

تُشكِل قاعدة الهرم السُكاني، وتتصف بأنها مُستهلِكة، وغير مُنتجة في الغالب، وأن أفرادها لم يدخلوا سوق العمل بعد. إلا أنه يُلاحظ، ولظروف اقتصادية واجتماعية، مزاولة بعض أفرادها للعمل في وقت مبكر، خاصة في الدول النامية، وتحديدًا بالمناطق الريفية.

وتتباين نسبة صغار السن بين الدول النامية والدول المتقدمة، فهي تنخفض في المجتمعات الصناعية المتطورة التي عملت على تنظيم الأسرة، وترتفع في المجتمعات النامية، وهذا يدل على: فتوة هذه المُجتمعات، وزيادة المواليد، وزيادة نسبة الإعالة، كما تُعد من أكثر الفئات العمرية تأثرًا بعاملي: المواليد، والوفيات؛ لأن الوفيات ترتفع بين صغار السن، وبخاصةٍ في الأعمار المبكرة. وتدعو الكثير من الدراسات إلى الاهتمام بهذه الفئة، وتنميتها؛ لأنها الضمان الوحيد لمستقبل السكان في أي مُجتمع؛ وهي الفئة المعنية بها هذه الدراسة.

يعتمد وصف المُجتمع بأنه مُجتمع صغار السن، أو مجتمع كبار السن، على نسبة السكان في الفئات العُمرية المُختلفة. فالمُجتمع الذي تزيد فيه نسبة السكان الأقل من (١٥) سنة عن (٣٥%) من مجموع السُكان يعد مُجتمعًا صغير السن، أما المُجتمع الذي تزيد فيه نسبة السكان لأكبر من (٦٥) سنة عن (١٠%) من مجموع السُكان يُعد مُجتمعًا كبير السن. أكثر من ذلك، فإنه عندما تميل نسبة السكان صغيري السن إلى الزيادة فإن هذا المُجتمع يوصف بأنه يميل إلى الصغر من حيث السن، والعكس، مع نمو نسبة السكان الكبار في السن

إلى الزيادة؛ حيث يوصف المُجتمع بأنه يميل إلى الكبر من حيث السن (محمد عبد الرحمن الشرنوبي، ١٩٧٨).

وتنقسم أية مجموعة سكانية في الفئات السابقة إلى ذكور وإناث، وتحسب نسبة الذكور إلى كل مائة أنثى، فيما يُعرف "بنسبة النوع"؛ سواء للسكان بصفة عامة، أو بالنسبة لكل فئة من فئات السن على حدة؛ وعندئذ تصبح النسبة ذات دلالة وأهمية خاصة.

يولد – عادة – (١٠٥) أو (١٠٦) ذكور/(١٠٠) أنثى، وإذا قلت هذه النسبة عن ذلك يدل هذا على ارتفاع نسبة الإجهاض، أو الأطفال الذين يولدون موتى، أو قلة العناية بالمواليد الإناث. غير أن وفيات الإناث في كل فئة من فئات السن أقل من وفيات الذكور في نفس الفئة. ومن ثَم، تقل نسبة الذكورة في فئات السن الصغيرة حتى عشر سنوات، ثم تتعرض الإناث لمشاق الحمل والوضع، وربما لأخطاره، فتتعادل كفتا الذكور والإناث في سن الشباب، ثم تعود كفة الإناث فترجح كفة الذكور لدى فئات السن الكبيرة؛ حيث يكون الشباب من الذكور قد تعرضوا لأخطار المهن المُختلفة، وربما الحروب؛ حيث ترتفع نسبة وفيات الذكور عن نسبة وفيات الإناث (محمد السيد غلاب، ومحمد صبحي عبدالحكيم، ١٩٧٤).

هذا النمط العام يتميز بعدم الثبات أو الانتظام، كما أنه ليس عالميًا؛ إذ تختلف نسبة الذكور إلى الإناث في المجموعات السُكانية المُختلفة، باختلاف مستواها الاجتماعي، ونظرتها إلى الإناث، كما تختلف باختلاف العادات الاجتماعية والاقتصادية في الزواج والعمل، والأقطار المفتوحة للهجرة تجتذب المهاجرين الشبان دون النساء؛ لذلك ترتفع بها نسبة الذكور، بالإضافة إلى أن مراكز التعدين تكاد أن تكون مُعسكرات للرجال دون النساء، بينما تجتذب مناطق الصناعات الخفيفة وصناعة النسيج الأيدي العاملة الأنثوية؛ فتقل بها نسبة الذكور إلى الإناث؛ من ثم يُعد عاملا: الهجرة، والحرب الأهم في إيجاد الفروق غير الطبيعية بين حجم الذكور والإناث (يسري الجوهري، ١٩٩٠).

أهمية الدراسة

يكاد يكون تكوين السكان حسب فئات السن والنوع أحد أهم وأخطر العوامل الديموجرافية في دلالتها على قوة السُكان الإنتاجية، ومقدار حيويتهم، كما أنه يشير إلى اتجاه نموهم، ويلقي ضوءًا مفسرًا على نسب المواليد والوفيات بينهم. وتبعًا لذلك يتم تحديد حجم

السُكان في سن التعليم، وما يلزم لهم من أبنية تعليمية، وغير ذلك من خدمات وبنية تحتية. أيضًا تحديد حجم السُكان في سن العمل، وتوزيعه بين الذكور والإناث (منصور حسين، وكرم حبيب، ١٩٧٥). كما أن الدولة يهمها أن تعرف نسبة الذكور في سن حمل السلاح. ويعمد دارسو السكان إلى تقسيمهم حسب فئات السن والنوع، وعرض ذلك فيما يسمى "بالهرم السكاني Population Pyramid".

من ثم يمكن سرد أهمية دراسة التركيب العمري والنوعي للسكان فيما يلي:

- توضح مدى تأثير العمليات الديموجرافية الحيوية والهجرة على فئات السن، ونسبة النوع داخل المُجتمع.
- توضح مدى قدرة المُجتمع على توفير القوة العاملة اللازمة للتنمية، وإعالة باقي أفراد المُجتمع.
- ومن ثَم تُعد المفتاح لفهم كثير من المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي واجهت أو تواجه أو ستواجه المُجتمع.
- كذلك تُساعد على فهم عوامل النمو السُكاني، ودورها في حجم السُكان، وما يرتبط بذلك من دراسة الحالة المدنية والنشاط الاقتصادي والتعليم وغيره من الخدمات، والتغيرات المُرتبطة بها.

منهجية الدراسة

ستعتمد الدراسة على البيانات الخاصة بحجم السُكان، حسب فئات السن والنوع، لسنة ٢٠١٨، التي يوفرها قسم السُكان والشئون الاجتماعية بالأمم المُتحدة، في إصداراته المختلفة، والتي تتمثل في:

UN, World Population Prospects - UN, Demographic Year Book- African Statistical Year Book- and World Population Datasheet.

ونظرًا لتشعب الأبعاد الديموجرافية المُرتبطة بموضوع الدراسة، واتساع مداها الجغرافي، سيتم التركيز على بعض ملامح التباين في فئة الأطفال (صغار السن) على

مستوى القارة الإفريقية، وبين أقاليمها، ومدى الاتساق أو الاختلاف على مستوى دول كل إقليم، من خلال اتباع منهج شمولية الواقع الجغرافي.

حيث سيتم تقسيم الأقاليم الإفريقية وفقًا لما هو معتمد بمفوضية الاتحاد الإفريقي، وكما هو موضح بالخريطة، شكل (١). وبناء الأهرامات السكانية اعتمادًا على البيانات التي تم جمعها سواءً على مستوى الدولة الواحدة، أو بعد مُعالجتها إقليميًا.

وسيتم ذلك وفقًا للاشتراطات الواجب توافرها في شكل الهرم السكاني، والتي تتمثل في **(Donald T. Rowland, ٢٠٠٣)**:

١- دائمًا ما يتم رسم الهرم السُكاني بوضع السُكان الذكور على اليسار والسُكان الإناث على اليمين، ويتم وضع صغار السن في قاع الهرم السُكاني، وكبار السن في قمة الهرم السُكاني. كذلك يمكن التعبير عن الأعمار إما سنة سنة، أو كل خمسة أعوام.

٢- أن الفئات العُمرية التي تزيد عن سن مُعين (٨٥ سنة مثلًا) عادةً ما تُهمل عند رسم الهرم السُكاني؛ فمن المُستحيل تتبع شكل الهرم السُكاني حتى نهاية المجموعات العُمرية الموجودة في المُجتمع بدقة.

٣- أن مقياس الرسم في قاعدة الهرم يمكن أن يُعبر عن حجم السُكان في الفئات العُمرية المُختلفة، أو عن نسبة السُكان في الفئات العمرية المختلفة إلى مجموع السُكان. واستخدام أيٍّ من الأسلوبين لن يؤثر على شكل الهرم السُكاني. ولكن من الضروري عند حساب نسبة السُكان في المجموعات العمرية المختلفة أن يتم حساب نسبة كل من الذكور والإناث في المجموعة العُمرية إلى مجموع السُكان. أما إذا نُسِب الذكور إلى مجموع السُكان، والإناث إلى مجموع السُكان بشكل منفرد، فإن ذلك من شأنه أن يُعطي صورة مزيفة للهرم السُكاني في المُجتمع؛ لأن ذلك لن يعكس الأعداد المُختلفة لكل من الذكور والإناث في المُجتمع؛ لأن المساحة في أي من جانبي الهرم ستكون واحدة.

يوضح الشكل (١) الحيز المكاني للدراسة، المُتمثل في القارة الإفريقية، وأقاليمها الخمسة، والتي يشترك بكل إقليم منها عدة دول، كما يلي:

- **إقليم شمال إفريقيا،** يضم الدول: الجزائر، وجمهورية مصر العربية، وليبيا، وموريتانيا، والمغرب، والجمهورية العربية الصحراوية الديمُقراطية.
- **إقليم شرق إفريقيا،** يضم الدول: جزر القمر، وجيبوتي، وإثيوبيا، وإريتريا، وكينيا، ومدغشقر، وموريشيوس، ورواندا، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وتنزانيا، وأوغندا.
- **إقليم وسط إفريقيا،** يضم الدول: بوروندي، والكاميرون، وجمهورية إفريقيا الوسطى، وتشاد، وجمهورية الكونغو، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وغينيا الاستوائية، والجابون، وساوتومي، وبرنسيب.
- **إقليم جنوب إفريقيا،** يضم الدول: أنجولا، وبوتسوانا، وليسوتو، ومالاوي، وموزمبيق، وناميبيا، وجنوب إفريقيا، وسوازيلاند، وزامبيا، وزيمبابوي.
- **إقليم غرب إفريقيا،** يضم الدول: بنين، وبوركينا فاسو، والرأس الأخضر (كيب فيرد)، وساحل العاج، وغامبيا، وغانا، وغينيا بيساو، وغينيا، وليبريا، ومالي، والنيجر، ونيجيريا، والسنغال، وسيراليون، وتوجو.

وبالرغم من أن القارة الإفريقية تشكل نحو (٢٥ %) من مساحة اليابس بالكرة الأرضية، فمع ذلك لا تضم إلا نسبة بسيطة من سكان العالم لا تكاد تربو عن (١٠ %). وتتميز الأقاليم الإفريقية الخمسة عن بعضها البعض في أنماطها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والديموجرافية. ومع هذا فإنها تشترك وتتجانس فيما بينها، في بعض السمات الأخرى، وبصفة خاصة في خبراتها الاستعمارية، وتخلفها النسبي من الناحية الاقتصادية.

كما تشترك الدول الإفريقية فيما بينها في مستويات: الخصوبة، والوفيات المرتفعة، وبالرغم من هذا أيضًا هناك تباين ديموجرافي بين أقاليم القارة الإفريقية الخمسة، بل وعلى مستوى الدول داخل كل إقليم، وعلى المستوى المكاني الأكثر تفصيلًا داخل كل دولة أيضًا. هذا فضلًا عن ارتفاع معدل النمو السُكاني في هذه الدول؛ نتيجة مجموعة متنوعة من الظروف والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية.

شكل (١)

التقسيم الإقليمي لأقاليم القارة الإفريقية الخمسة، كما تم إقراره في مفوضية الاتحاد الإفريقي

المصدر: https://au.int/ ، الموقع الرسمي لمفوضية الاتحاد الإفريقي.

أولاً- مفهوم الهرم السُكاني هيكل العمر/ النوع(*)

هو عبارة عن عرض بياني، يُعبِر عن نسبة الحجم السُكاني في المجموعات العُمرية المختلفة، حسب النوع ذكر أم أنثى، ويُطلق عليه البعض "شجرة الأعمار". ويتكون هذا الهرم من إحداثيين: أفقي، ورأسي؛ حيث يُبين الإحداثي الأفقي النسب المئوية لكل فئة من فئات السن، بالنسبة للسكان عامة، ومقسمة إلى ذكور وإناث، ويبين الإحداثي الرأسي فئات السن ذاتها، سواء كانت كل خمس سنوات أو عشر سنوات.

ويُلخِص الهرم السُكاني حالة السُكان الاجتماعية والاقتصادية لإقليم ما، خلال مائة عام تقريبًا، أو خلال عُمر أطعن أفراده سنًا. ويُمكن من خلاله استقراء ما مر بالسُكان - بصفة عامة - من أحداث؛ فالأوبئة، والمجاعات، والحروب، والأزمات الاقتصادية تترك آثارها على هذا الهرم. وحالة السُكان من فتوة أو نُضج أو شيخوخة تظهر عليه أيضًا، بل ومستقبل السُكان في عشرات السنين القادمة - باستبعاد ما يترتب على ظاهرة الهجرة - يظهر عليه (فيليب م. هاوزر، ١٩٧٠).

وبناءً عليه يوصَف المُجتمع بأنه صغير السن أو كبير السن اعتمادًا على نسبة السُكان في الفئات العمرية المُختلفة. فالمُجتمع الذي تزيد فيه نسبة السُكان الأقل من (١٥) سنة عن (٣٥ %) من مجموع السُكان يعد مُجتمعًا صغير السن. أما المُجتمع الذي تزيد فيه نسبة السُكان الأكبر من (٦٥) سنة عن (١٠ %) من مجموع السُكان يُعد مُجتمعًا كبير السن (عباس فاضل السعدي، ١٩٨٨).

تُمارس كل من المُتغيرات السُكانية الثلاثة: الهجرة، والوفيات، والخصوبة تأثيرًا واضحًا على هيكل العُمر/ النوع؛ ومن ثم شكل الهرم السُكاني. فتمارس الهجرة تأثيرًا مفاجئًا على هيكل العمر/ النوع على المدى القصير، أما على المدى الطويل فإن هذا التأثير يمكن إهماله، أما الوفيات فيمكن أن تؤثر على هيكل العمر/ النوع في كل من المدى القصير والمدى الطويل، بينما لا يكون التأثير مفاجئًا.

وأخيرًا فإن تأثير الخصوبة على هيكل العمر/ النوع قد يكون غير ملحوظ على المدى القصير، أما على المدى الطويل فإنها أكثر المُتغيرات السُكانية تأثيرًا على شكل الهيكل العمري للسُكان. ولا يمكن اعتبار أحد هذه المتغيرات مُستقلًا كليًا عن الآخر، بل يؤدي أي تغير في أحد هذه المتغيرات إلى التأثير في المتغيرين الآخرين؛ لذلك يمكن دراستها عن طريق "هرم السُكان" (عبد علي الخفاف، ١٩٩٩).

أما تكوين السُكان فيتناول دراسة خصائص السُكان المُكتسبة، من حيث فئات الأعمار. وتُعد من أكثر الخصائص السُكانية الأخرى التي تؤثر وتتأثر بالعمليات الديموجرافية الكبرى المتغيرة (المواليد، والوفيات، والهجرة بنوعيها: الوافدة، والنازحة)، فهي بمثابة وسيلة غير مُباشرة لتقدير مستويات الخصوبة والوفيات، ومدى تأثيرهما على حركة السُكان في المُستقبل.

ثانيًا- أنماط الهرم السُكاني

تبعًا للعوامل السابقة المؤثرة في نمو السُكان، ومن ثَم في توزيعهم وفقًا للسن والنوع، بالإضافة إلى التغير في السياسات السُكانية، من التوسع إلى الانكماش أو العكس، أو

الازدهار الاقتصادي، الذي يؤدي للإقبال على الزواج والإنجاب. وتوجد نماذج عديدة لأهرامات السُكان، يمكن تقسيمها وفقًا لمراحل النمو السُكاني، كما يوضحها الشكل (٢).

شكل (٢)

المراحل الأربعة، وأنماط الهرم السُكاني، وخصائصها

المصدر: بتصرف عن، (Donald T. Rowland, ٢٠٠٣).

١- هرم المرحلة الأولى

ذو قاعدة عريضة، وجوانب منحدرة انحدارًا هينًا، ويصور خصائص السُكان في الأقاليم التي تمتاز بمعدلات مواليد مُرتفعة، ومعدلات وفيات مُرتفعة أيضًا، وذلك قبل أن يتجه السُكان إلى ضبط النسل أو التحكم في الوفيات. ومتوسط العمر لمثل هؤلاء السُكان منخفض، وفئات السن العاملة فيه تعول نسبة مرتفعة من صغار السن. ويُعد هرم السُكان للقارة الإفريقية، بصفة عامة، بالنسبة لقارات العالم، كما يتضح من استقراء الشكل (٣)، مثالًا لهذا النموذج، وكانت مُعظم أقاليم العالم فيما قبل مراحل التقدم تمُر في هذه المرحلة.

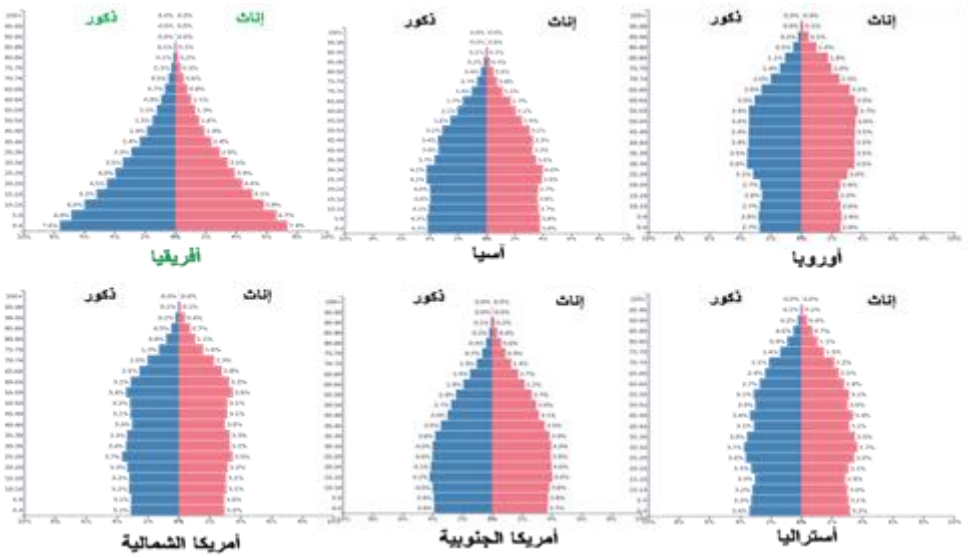

شكل (٣)

٢- هرم المرحلة الثانية

قاعدة هذا الهرم أعرض من قاعدة سابقه، إلا أن جوانبه لا تتجه نحو القمة في خط مطرد الميل، بل تتقوس تقوسًا طفيفًا نحو الداخل. ويصور سُكان الأقاليم التي بدأت في النمو السريع نتيجة انخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع والأطفال انخفاضًا سريعًا، دون أن تنخفض معدلات المواليد، ويزداد السُكان في هذه الأقاليم بسرعة، وتنخفض معدلات متوسط السن (بل يعد متوسط السن لهؤلاء السُكان الأقلَّ في العالم؛ بسبب تزايد نسبة الأطفال وصغار السن بينهم)، وتوجد بينهم أعلى نسبة من المُعالين من صغار السن في العالم.

٣- هرم المرحلة الثالثة

يمثل الأقاليم التي تتميز بارتفاع متوسط سن سُكانها (أعلى متوسط في العالم)، وانخفاض نسبة المُعالين (أقل نسبة في العالم)؛ ومعظم هؤلاء المُعالين في فئات السن المرتفعة.

٤- هرم المرحلة الرابعة

يشبه الناقوس، ويمثل إقليمًا اتخذ نهجًا لمُمارسة ضبط النسل، وتخفيض مُعدل المواليد، ثم اتجه إلى زيادة المواليد مرة أخرى، بينما لا تزال معدلات الوفيات مُنخفضة. وتبدو الزيادة الحديثة في المواليد بقاعدة الهرم.

ومثل هؤلاء السُكان في حالة نمو، ومتوسط العمر لديهم في انخفاض؛ لزيادة عدد الأطفال، وتزيد لنفس السبب نسب المُعالين بينهم، إلا أن هذا الشكل انتقالي؛ حيث يبدأ معدل المواليد في الانخفاض الشديد مرة أخرى، مما يُمكن أن يتبعه نقص حجم السُكان.

ثالثًا- المجموعات السُكانية

يمكن تقسيم السُكان إلى ثلاث مجموعات سُكانية، وفقًا لفئات السن، وشكل الهرم السُكاني المُمَيز لها، كما يلي (فتحي محمد أبوعيانة، ١٩٨٦):

١- مجموعة صغار السن

تمتاز بنسبة (٤٠ %) من السُكان أو أكثر في فئات السن الصغيرة؛ أي الأقل من (١٥) سنة، ونسبة (٥٠ %) من السكان في فئات السن المتوسطة (١٥ – ٦٥) سنة، والنسبة الضئيلة المتبقية لفئات السن الكبيرة. ويسود هذا الهرم السُكاني حيث ترتفع نسبة المواليد بين السُكان؛ مما يجعل قاعدة الهرم عريضة، وأيضًا حيث ترتفع نسبة الوفيات؛ مما يجعل درجات الهرم سريعة الانحدار.

وفي مثل هؤلاء السُكان يقع عبء كبير على السُكان العاملين (بين ١٥ – ٦٤)، ويعولون نحو نصف السُكان، هذا على فرض التساوي في العمل بين الرجال والنساء، وهو ما لا يحدث في مُجتمعات القارة الإفريقية النامية.

ويُعد السُكان في هذه الحالة في دور الشباب أو الفتوة؛ إذ هم يمتازون بالحيوية والقدرة على الإنجاب. وحيث إن وفرة المواليد تقدم القاعدة لبناء الأجيال القادمة، فهم يسيرون نحو الزيادة، ويوجه معظم النشاط الاقتصادي لهؤلاء السُكان نحو التعمير للمستقبل، وبناء الأبنية التعليمية والسكنية لأطفال يفِدون باستمرار. وربما يخفف من عبء العاملين من هؤلاء السُكان كونهم يربون أجيالًا مُستهلكة في الوقت الحاضر، لكنها منتجة في المُستقبل.

٢- المجموعة السُكانية الناضجة أو ذات الكهولة

تمتاز بالهرم السُكاني ذي قاعدة ليست عريضة، وجوانب مرتفعة رأسيًا، قبل أن تصل لقمة الهرم، أي إلى فئات السن العُليا. مما يعني تركز السُكان في فئات السن الوسطى

(١٥ – ٧٤)، التي لديها القدرة على العمل. وتمتاز بقلة المواليد والوفيات، ولكن المواليد تكفي لنمو السُكان وتجدد الأجيال.

٣- المجموعة السُكانية الثالثة، في حالة الشيخوخة

حيث لايكون صغار السن أكثر من (١٥ %) من السُكان، ويتركز السُكان في الفئة الوسطى، ومعدلات المواليد ضئيلة، ولا تكاد تكفي تجدد الأجيال؛ ومن ثم يصبح الهرم السُكاني لها يرتكز على قاعدة ضيقة، ثم تتضخم في الوسط، ولا ينتهي بقمة مدببة؛ إذ أن تقدم الصحة ووسائل العلاج يمد في أعمار الشيوخ والمسنين، ومن ثم تزداد نسبتهم.

ولم تعد مُشكلة العاملين في هذه المجموعة السُكانية تربية الأطفال فقط، بل إعالة الشيوخ أيضًا (الذين يتقاضون معاشات من الدولة، يدفعها العاملون على شكل ضرائب واستقطاعات أخرى مختلفة). كما لم تعد مشكلة الدولة بناء الأبنية التعليمية فقط، بل بناء المنشآت الصحية ودور رعاية العجزة والمسنين (فيليب م. هاوزر، ١٩٧٠).

رابعًا- التباين المكاني للأهرامات السُكانية على مستوى أقاليم القارة الإفريقية ودولها

يوضح الشكل (٤) الأهرامات السُكانية لأقاليم القارة الإفريقية الخمسة، ومن استقرائه يتضح أنها تأخذ نمطي أهرام المرحلتين: الأولى، والثانية، فيما عدا هرمي إقليمي: جنوبي إفريقيا، وشمالي إفريقيا؛ حيث ينتميان لنمط هرم المرحلة الثالثة. ويُظهِر التباين المكاني على المستوى التفصيلي لدول كل إقليم على حدة أنماطًا وتباينات أخرى؛ كما يلي:

- يتضح من تحليل مجموعة الأهرامات السُكانية لدول إقليم شمال إفريقيا أن جميعها تنتمي لنمط الهرم السُكاني للمرحلة الثانية، فيما عدا الهرم السُكاني لدولة موريتانيا، شكل (٥)؛ التي لا تزال تنتمي لنمط الهرم السُكاني للمرحلة الأولى، والهرم السُكاني لجمهورية الصحراء الغربية الديمقراطية، شكل (٥)؛ حيث يأخذ الهرم السُكاني بها نمط المرحلة الثالثة.
- بينما صُنِّفَت الأهرامات السُكانية لمجموعة دول إقليم شرق إفريقيا ضمن نمطي المرحلة الأولى، والثانية. وقد اختلف عن هذا التصنيف الهرم السُكاني لجزر سيشل،

شكل (٦)؛ والذي اتخذ نمط المرحلة الثالثة، كما اتخذ الهرم السُكاني لموريشيوس نمط هرم المرحلة الرابعة، شكل (٦).

- أيضًا على مستوى دول إقليم وسط إفريقيا، صُنِّفت الأهرامات السُكانية لها ضمن نمطي المرحلة الأولى والثانية، فيما عدا الهرم السُكاني لدولة غينيا الاستوائية، شكل (٧)؛ حيث يبدو مُختلفًا ومُركبًا، فيظهر النصف الأعلى من الهرم وكأنه ينتمي للمرحلة الثالثة، بينما النصف الأسفل يأخذ نمط المرحلة الأولى أو الثانية.
- يوضح الشكل (٨- أ، ب) التباين الواضح بين أنماط الأهرامات السُكانية على مستوى دول إقليم جنوب إفريقيا؛ حيث تدخل كل من: بتسوانا، وجنوب إفريقيا، وليسوتو، وسوازيلاند ضمن نمط الهرم السُكاني للمرحلة الثالثة، شكل (٨-أ)، بينما ما زالت باقي دول الإقليم، شكل (٨-ب) تصَنَّف ضمن فئتي أهرامات المرحلتين: الأولى، والثانية.
- تدخل الأهرامات السُكانية لدول إقليم غرب إفريقيا أيضًا ضمن تصنيف نمطي المرحلتين: الأولى، والثانية، فيما عدا دولة كيب فيرد أو الرأس الأخضر، شكل (٩)، التي يُصنَّف الهرم السُكاني لها ضمن نمط المرحلة الرابعة.

كما تُشير القراءة السُكانية أيضًا إلى أن القارة الإفريقية بصفة عامة قارة فتية أو شابة من حيث التركيب العمري؛ حيث يتضح التركز الواضح للسكان في الفئات العمرية الأقل من ١٥ سنة. وترجع مُشكلات السُكان المُرتبطة بالتنمية الاقتصادية في معظم الدول الإفريقية إلى أن معدلات النمو المُرتفع قد نتج عنها شبابية الهرم السُكاني؛ حيث غلبة فئات السن الصغيرة، ويتضافر ذلك مع البطالة المُستترة والظاهرة، وهجرة السُكان من الريف للمُدن، وانخفاض الإنتاجية الزراعية. ومُعظم هذه المُشكلات أصبح مُعترفًا به في خُطط التنمية التي تضعها مُعظم الدول الإفريقية (محمد عبدالغني سعودي، ١٩٧٩).

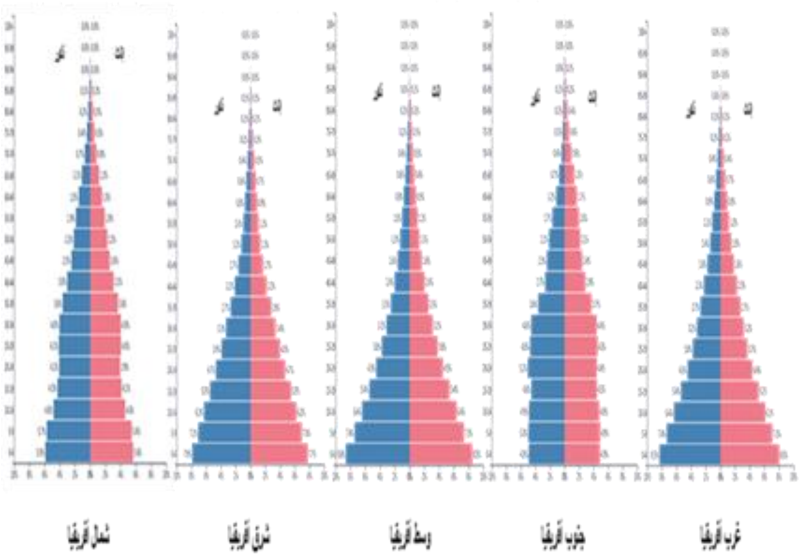

شكل (٤): التباين المكاني للأهرامات السُكانية على مستوى أقاليم القارة الأفريقية الخمسة

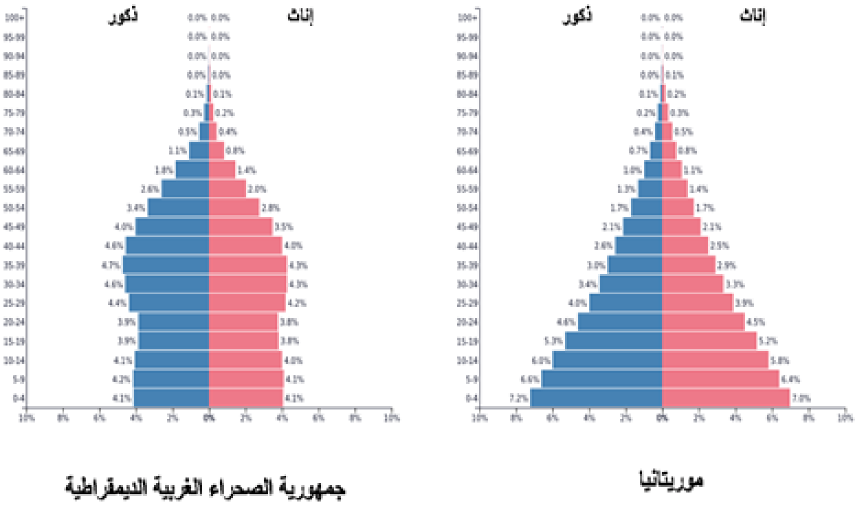

شكل (٥): الدول المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني
على مستوى دول إقليم شمال إفريقيا

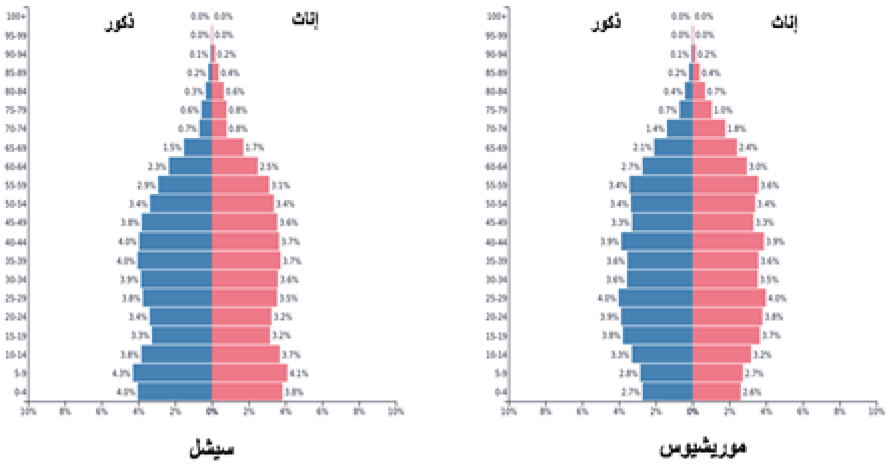

شكل (٦): الدول المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني على مستوى دول إقليم شرق إفريقيا

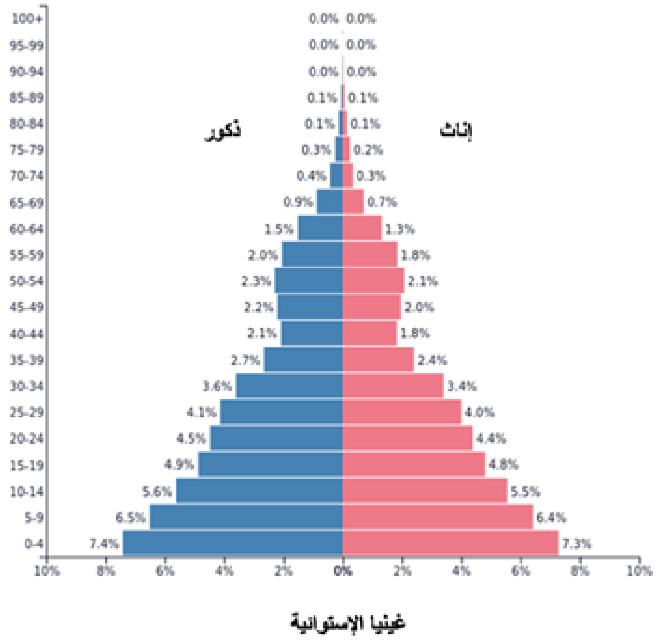

شكل (٧): غينيا الإستوائية المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني

على مستوى دول إقليم وسط إفريقيا

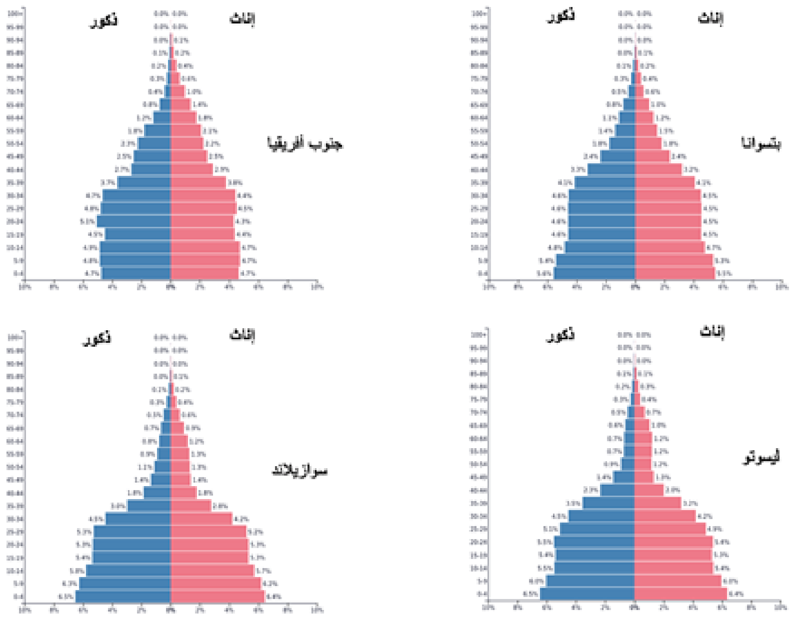

شكل (٨-أ): الدول المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني على مستوى دول إقليم جنوب إفريقيا

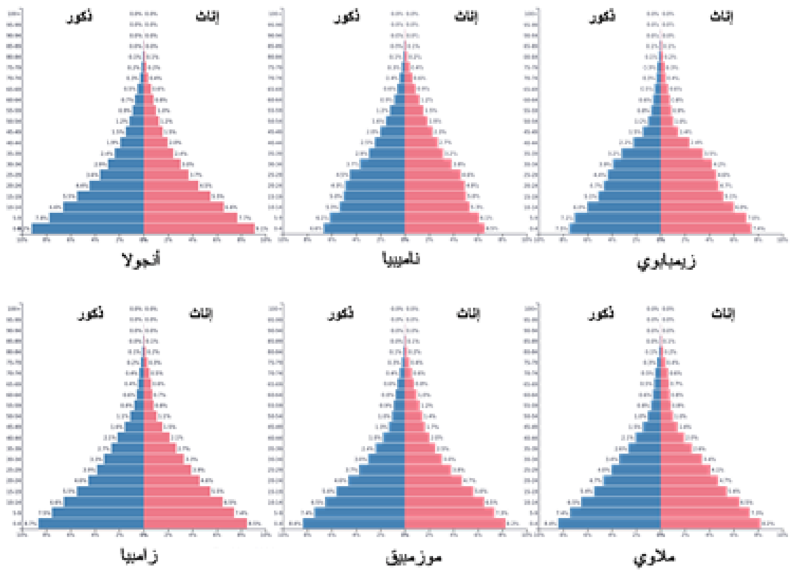

شكل (٨-ب): الدول المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني

على مستوى دول إقليم جنوب إفريقيا

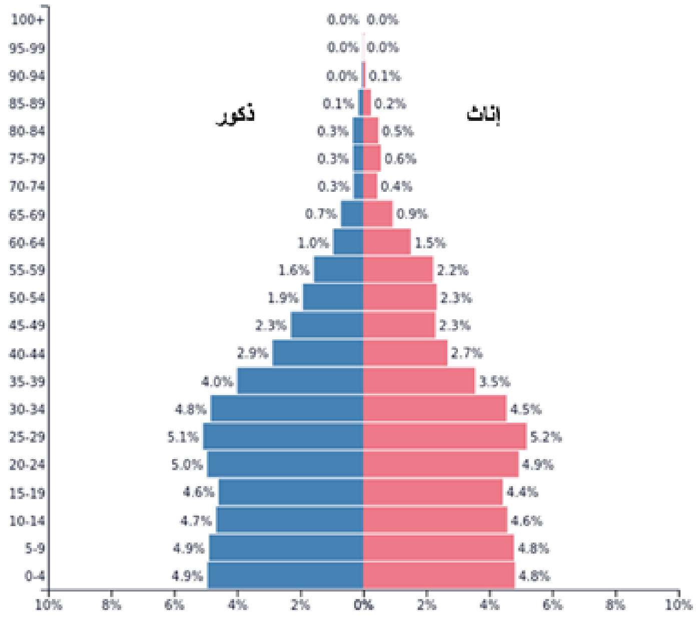

كيب فيرد (الرأس الأخضر)

شكل (٩): كيب فيرد المُختلفة في تركيبة الهرم السُكاني على مستوى دول إقليم غرب إفريقيا

الخاتمة

خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج والتوصيات، يُمكن بيانها كما يلي:

النتائج

انتهت الدراسة وخلصت إلى عدة نتائج، ومجموعة من التوصيات، تحقق الأهداف التي تم تحديدها في المقدمة، وتشير لنتائج اختبار فرضياتها، وهي كالتالي:

- يتأثر التركيب العمري والنوعي للسكان بمعدلات المواليد، ومعدلات الوفيات السائدة في المجتمع، كعوامل أساسية، وكذلك الهجرة القادمة إلى المجتمع أو الخارجة منه، تبعًا لنمط هذه الهجرة سواءً كانت على مستوى أسر أو أفراد من فئات عمرية معينة أو حسب الجنس، وكذلك الحروب، والمجاعات، والأمراض، كعوامل شاذة أو في ظروف غير عادية، وإن استمرت آثارها بعد ذلك في أكثر من جيل، وبالتالي فإن هذا التركيب العمري له تأثير مباشر في تغيير حجم السكان.
- القسم الأكبر من سكان القارة الإفريقية في مراحل الإعالة الحياتية من الأطفال أو كبار السن، يُستَثنَى من ذلك الشمال والجنوب الإفريقي؛ حيث القسم الأكبر من السكان يمر بمرحلة سن الإنتاج، وفي هذه الحالة يعد السكان موردًا من موارد الدولة.
- من ثَم تعد دراسة التركيب الديموجرافي للسكان، والبحث في آلياته المباشرة وغير المباشرة من أهم أسباب نجاح خطط التنمية أو فشلها، كما أن له تأثيره على حالة التقدم المحرز نحو الديمقراطية، وعلى درجة مخاطر الوقوع في صراعات أهلية أو ثورات.

ويمكن إيجاز توصيات الدراسة تبعًا لذلك فيما يلي:

- لابد من بذل الجهود لمعالجة قضية غَلَبة فئات السن الصغيرة بطريقة مُتكاملة؛ بحيث تتضمن تغيرات أساسية في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدول الإفريقية، بدلًا من التركيز على عامل واحد فقط، وهو السكان.
- هذا الوضع يضع الحكومات في اختبار اختيار السياسات المناسبة لتفعيل هذا المورد واستثماره، وإلا سينقلب الوضع، ويصبح هذا المورد عبئًا ومعطلًا.

- وحتى يكون التخطيط سليمًا فإن هذه الإسقاطات يجب أن تكون دقيقة بقدر الإمكان، ويتطلب الأمر أن تكون نقطة ارتكازها مبنية على توزيع عمري / نوعي صحيح. إلا أن هذه التوزيعات، ومصدرها عادة هو التعدادات السكانية (الحصر الشامل)، تتعرض لعدة أنواع من الأخطاء عند جمعها، أهمها أخطاء الشمول، والتبليغ الخاطئ عن العمر.
- تحتاج الدراسة للمزيد من البحث على مستويات مكانية أكثر تفصيلًا داخل الدولة الواحدة، حيث ستظهر تباينات مكانية أخرى على مستوى الوحدات الإدارية الأصغر بالدولة، وعلى مستوى الحضر والريف، ومن ثَم يمكن الكشف عن مجموعة المُتغيرات والعوامل المؤثرة في ذلك، وتحديد المُشكلات المُترتبة بدقة أكبر.
- الرصد الدوري والمستمر لهذه القضية على كافة المستويات المكانية.

قائمة المراجع:

أولًا ـ المراجع العربية:

- أديرانتي أديبوجي، ترجمة: محمد عبدالغني سعودي، (١٩٧٩)، السياسات السكانية في إفريقيا، مُشكلات واحتمالات، رسائل جغرافية، الرسالة ٨، قسم الجغرافيا، والجمعية الجغرافية الكويتية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.
- عبد علي الخفاف، (١٩٩٩): جغرافية السكان، أُسس عامة، عمَّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عباس فاضل السعدي، (١٩٨٨): دراسات في جغرافية السكان، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- فتحي محمد أبوعيانة، (١٩٨٦): جغرافية السكان، ط ٣، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- فيليب م. هاوزر، ترجمة: حنا رزق، وراشد البراوي، (١٩٧٠): الأزمة السكانية، الإسكندرية: المكتب المصري الحديث.
- محمد عبد الرحمن الشرنوبي، (١٩٧٨): جغرافية السكان، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- منصور حسين، وكرم حبيب، (١٩٧٥): السُكان والبناء الاجتماعي، القاهرة: مكتبة الوعي العربي.
- محمد السيد غلاب، ومحمد صبحي عبد الحكيم، (١٩٧٤): السُكان، ديموجرافيا وجغرافيًا، ط ٣. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- يسري الجوهري، (١٩٩٠): جغرافية السكان، ط ٣. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- (*) يسمى بالهرم لأن الصورة الكلاسيكية للمجتمع الذي ترتفع فيه معدلات الخصوبة ومعدلات الوفيات، والتي سادت العالم حتى وقت قريب، عبارة عن

هرم قاعدته عريضة؛ بسبب ارتفاع معدلات المواليد، ثم تأخذ شكل الهرم؛ بسبب ارتفاع معدلات الوفيات.

ثانيًا ـ المراجع الأجنبية:

- Donald T. Rowland, (٢٠٠٣), Demographic Methods and Concepts, Oxford University Press Inc., New York.
- George J. Demko, Harold M. Rose, and George A. Schnell, (١٩٧٠), Population Geography: A Reader, Mc Graw-Hill, United States of America.
- UN Department of Economic and Social Affairs, (٢٠١٩), African Statistical Yearbook, United Nations. www.afdb.org/en/documents/document/the-african-statistical-yearbook-٢٠١٩-١٠٩٥٦٤
- UN Department of Economic and Social Affairs, (٢٠١٩), World Population Prospects, United Nations. Population.un.org/wpp/
- UN Department of Economic and Social Affairs, (٢٠١٨), United Nations Demographic Yearbook, United Nations. Unstates.un.org/unsd/demographic/products/dyb/default.htm
- الموقع الرسمي لمفوضية الاتحاد الإفريقي: https://au.int/